الخوف من غير اللّٰه

كتبه محمد الصغير الاثنين ٠٦ صفر ١٤٤٣

بعد قصة آدم في القرآن يكون أول نداء موجه لبني آدم هو توحيد اللّٰه بالخوف حيث قال ربنا عز وجل

﴿ يا بَني إِسرائيلَ اذكُروا نِعمَتِيَ الَّتي أَنعَمتُ عَلَيكُم وَأَوفوا بِعَهدي أوفِ بِعَهدِكُم وَإِيّايَ فَارهَبونِ ﴾

البقرة: ٤٠

فتقديمه للمفعول في قوله

وَإِيّايَ فَارهَبونِ

يفيد الاختصاص, أي ارهبوني أنا وحدي, مما يعني أن الخوف عبادة يجب أن لا تصرف لغير اللّٰه, وهذا ما سوف نناقشه من خلال:

- ما هو الخوف
- ما علاقة الخوف بالعبادة
- توحيد الخوف شرط في الإيمان
- كيف نتغلب على الخوف من غير اللّٰه

ما هو الخوف

الخوف شعور بالرهبة تجاه أمر ما, وذلك لكون هذا الأمر يمثل خطراً على الإنسان, سواء كان خطراً مادياً أو معنوياً.

هذا الشعور بالخوف هو قرار يتخذه الإنسان بناء على معطيات عقلية تخبره بأن هذا الشيء يمكنه أن يلحق به أذىً ما, لذلك يقرر أن يخافه, ودليل أنه قرار من كسب الإنسان, قوله تعالى

وَإِيّايَ فَارهَبونِ

والله لا يأمر بغير المستطاع, فلما أمر بتوحيده بالخوف, علمنا أن الخوف قرار من الإنسان يمكنه التحكم فيه, فيخاف ممن يريد أن يخاف منه, ويقرر أن لا يخاف ممن أراد عدم الخوف منه.

عادة لا ينتبه الناس لكون الخوف قراراً, نتيجة لكونهم في الغالب يقررون الخوف عند توفر معلومات عن احتمال إصابتهم بأذى, دون أن يدفعوا هذا القرار أو يتحكموا فيه, فصار المرء منهم يعتقد أن الخوف أمر خارج عن إرادته, وهذا غير صحيح بدليل الآية السابقة.

ما علاقة الخوف بالعبادة

رأينا أعلاه أن الخوف عبادة, لأن الله سبحانه أمر بإفراده به, فالخوف طاعة لله ومن ثم فهو عبادة لله

كما رأينا سابقا أن العبادة هي الخضوع والطاعة والتذلل, والخوف أحد أهم أسباب الطاعة والخضوع اي العبادة.

من يخاف من شخص ما فإنه غالبا يطيعه مخافة أذاه, ومن ثم فإنه يعبده حرفيا إذا جاوز حد المباح في الطاعة

أي أن الخوف عبادة في حد ذاته, وأحد أهم أسباب العبادة أيضاً

توحيد الخوف شرط من شروط الإيمان

رأينا من قبل أن من شروط الإسلام الشعور بالعزة, نظرا لاتصال المرء بالله, فالمؤمن عزيز قوي بالله, والعزة تقتضي عدم الخوف من غير الله, وهذا ما نص عليه ربنا في قوله:

﴿ إِنَّما ذٰلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَولِياءَهُ فَلا تَخافوهُم وَخافونِ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ ﴾

آل عمران: ١٧٥

قبل الحديث عن هذه الآية, ينبغي لنا تذكر الظروف الذي نزلت فيها, حتى نفهم حجم هذا الأمر الوارد في الآية

لقد خرج المسلمون لقتال قريش في أحد, وكان يوم أحد يوما عظيما على المسلمين, فقد قتل منهم سبعون, وفر بعضهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وشج جبينه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم, وابتلي المسلمون ابتلاء عظيما.

بعد الهزيمة تخور المعنويات وتكون الحالة النفسية أضعف ما تكون, فمشاهد القتل لا تزال حية في الرأس, ومن ثم فإن أسباب الخوف قائمة بذاتها.

في اليوم الموالي لغزة أحد ندم الكفار أنهم لم يستأصلوا بيضة المسلمين, فهم وإن كانوا قد انتصروا, إلا أنهم لم يقتلوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم, ومن ثم فقد كان هناك تيار قوي يقول بالكر على المسلمين, وتساعدهم معنوياتهم فهم المنتصرون يوم أمس.

في مثل هذه الظروف يأمر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم جيشه المهزوم يوم أمس بالاستعداد لمطاردة مشركي قريش, ويأتي أمر اللّٰه:

‹ إِنَّما ذٰلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَولِياءَهُ فَلا تَخافوهُم وَخافونِ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ ›

آل عمران: ١٧٥

ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم أولياءه, فلا تخافوهم وخافوا اللّٰه إن كنتم مؤمنين.

أي أنه يأمر الصحابة بأن لا يخافوا من الكفار بالرغم من كون أسباب الخوف قائمة لمن يؤمن بالشهادة ولا يؤمن بالغيب, ويخبر أن حقيقة ذلك الخوف إنما هي من الشيطان يحاول أن يجعلنا نخاف أولياءه أي الكفار.

ويأمر بالخوف من اللّٰه وحده ويجعل ذلك شرطا في الإيمان, وهذا هو الحق, فالله أحق أن يخشى وحده, فهو المتصرف في كل شيء, ذو القوة المتين, الكبير المتعال, ومن ثم فلا معنى للخوف من غيره إلا أن يكون المرء غير مؤمن بالله فعلا.

إن اليوم شبيه بالبارحة, والآية التي خاطبت الصحابة يوم أمس تخاطبنا اليوم في ظروف مشابهة.

فنحن اليوم أمام طواغيت توفرت الاسباب المادية للخوف منهم, نظرا لبطشهم وجبروتهم, وقدرتهم المادية على تعذيب المؤمنين, وفي نفس الوقت أمامنا أمر اللّٰه

‹ إِنَّما ذٰلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَولِياءَهُ فَلا تَخافوهُم وَخافونِ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ ›

آل عمران: ١٧٥

فماذا نفعل؟!

إن هذا الخوف الذي تربى عليه البعض هو اختبار من الله يجب تجاوزه أولا حتى يصح الإيمان, ولن يكون ذلك إلا باستحضار عظمة الله وقدرته, واستشعار معيته سبحانه وإليك بعض ما شرعه الله للتغلب على هذا الخوف

كيف نتغلب على الخوف من غير الله

إن أول خطوة هي أخذ القرار بعدم خوفهم :

فَلا تَخافوهُم

هذا القرار يدعمه :

- حقيقة أن أولياء الشيطان ضعفاء لا حول لهم ولا قوة من أنفسهم.
- أن الله وعد المؤمنين بالنصر وجعله حقا عليه, فقال :

< وَلَقَد أَرسَلنا مِن قَبلِكَ رُسُلًا إِلى قَومِهِم فَجاءوهُم بِالبَيِّناتِ فَانتَقَمنا مِنَ الَّذينَ أَجرَموا وَكانَ حَقًّا عَلَينا نَصرُ المُؤمِنينَ >

الروم: ٤٧

- الاستعاذة بالله من شرهم, والله معيذ لمن استعاذ به

< وَإِنّي عُذتُ بِرَبّي وَرَبِّكُم أَن تَرجُمونِ >

الدخان: ٢٠

- الخوف من الله لقوله

وَخافونِ

وهنا يجب أن نعمل مقارنة بسيطة ولكنها مهمة جداً في دفع الخوف من الكفار وفي الخوف من الله, وهي مقارنة عذاب الله بعذاب الكفار.

نعم لا مجال للمقارنة, ولكن يجب استحضار عذاب النار مقابل العذاب المتوقع من الكفار, وهنا سوف ندرك أن هؤلاء الكفار ولو كان وعيدهم التحريق بالنار, كما فعل بأصحاب الاخدود لا يساوي

شيئا في مقابل عذاب الله الأبدي والعياذ بالله, وعليه فإن المؤمن يتقحم عذاب الكفار, مقبل غير مدبر, لأنه يعلم أن تقحم عذابهم ورجاء ما عند الله هو الفوز الكبير كما أخبر الله جل جلاله

‹ إِنَّ الَّذينَ فَتَنُوا المُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ ثُمَّ لَم يَتوبوا فَلَهُم عَذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُم عَذابُ الحَريقِ۝إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتٌ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ ذلِكَ الفَوزُ الكَبيرُ۝إِنَّ بَطشَ رَبِّكَ لَشَديدٌ۝إِنَّهُ هُوَ يُبدِئُ وَيُعيدُ۝وَهُوَ الغَفورُ الوَدودُ۝ذُو العَرشِ المَجيدُ۝فَعّالٌ لِما يُريدُ ›

البروج: ١٠-١٦

أسأل الله أن يربط على قلوبنا ويثبت أقدامنا وينصرنا على القوم الكافرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.